

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

The Foundation for Islamic Education

المؤتمر السنوي الثاني : 3 - 5 أكتوبر لسنة 2003 م

" نحو توحيد الصف الإسلامي : المدارس الفقهية ؛ نشأتها وتطورها "

"Towards the Unity of Muslim Society: Development of the *fiqhi* Schools"

" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "

المؤتمر : خلفية فكرية

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد ، وعلى آله وصحبه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .. وبعد ..
- جمهور المؤتمر : يستهدف هذا المؤتمر توجيه الخطاب إلى الفئات التالية :
- أئمة المراكز الإسلامية ، والعاملين في مجال الدعوة الإسلامية ، وإلى الأساتذة والمعلمين ورواد الفكر والتأثير في المقام الأول .
  - فئة المثقفين المسلمين ، وخاصة الشباب منهم في المقام الثاني .
  - المهتمين بالدراسات الإسلامية من المتخصصين والباحثين من غير المسلمين في المقام الثالث .

توطئة وخلفية فكرية : لربما يكون من أهم التحديات التي تواجه أئمة المراكز الإسلامية - خاصة المقيمين في المجتمعات الغربية - تلك الضغوط الفكرية والمنهجية المتعارضة ، التي تمارسها فئات خاصة من جمهور مساجدهم ، والدافعة إلى سيادة مدرسة خاصة أو منهج معين بدعوى أنه المنهج الأرشد والأصوب ، وقد يصل الأمر إلى مرحلة من الغلو يزعم فيها أصحاب تلك المناهج أن منهجهم وحده هو الصواب المحض ، وأن ما عداه هو الباطل المحض . ناهيك عما يقع بين هؤلاء الأفراد أنفسهم من نزاعات وصراعات ، وما لم يكن الإمام مؤهلا تأهيدا شرعيا وعلميا راقيا فإنه سوف يعاني كثيرا في محاولة الترشيد والتوجيه ، وتجنب الصراع والتفرق ، ورأب الصدع وجمع الكلمة .

ولربما يكون الإمام نفسه - نتيجة لرؤية جزئية للمعارف الشرعية - مرجحا أو متعصبا لمدرسة خاصة ، مع عدم إحاطته بما يؤخذ على مدرسته من مؤاخذات ، وما يلازمها من نقاط ضعف ، ولا يحيط علما بما عليه مدارس مخالفيه من مناحي قوة وإيجابيات ، فيصبح من ثم جزءا من المشكلة بدلا من يكون مصدرا للحل . بل يمكننا القول أنه لم يسلم من هذه الظاهرة

كذلك فريق من العلماء المتعصبين لمذاهبهم أو مدارسهم الفكرية أو العقيدية التي ينتمون إليها تعصبا قائما على التقليد ، سواء أكانوا يدركون أنهم مقلدون ، أو يزعمون أنهم مجتهدون متحررون وأنهم من التقليد برءاء ، رغم كونهم يرزحون تحت وطأة وإسار التقليد ، وينسون أن كُلا منا - شاء أم أبى ، وعى أم لم يع - إنما هو واقع تحت تأثير مدرسة خاصة ، أو مدارس متنوعة على تفاوت في درجات تأثيرها على مناهجنا وأفكارنا . ولا ينهض القول بعدم الأخذ بأقوال الرجال وإنما يؤخذ بفهمهم لدلالات النصوص ، لا ينهض دليلا لإثبات التحرر المطلق من التقليد والإتباع ، حتى عند من يزعم عدم الأخذ بأقوالهم أو أفهامهم . ففي الوقت الذي نجد فيه التحرر من التقليد والمذهبية ، فإنه يتحتم الإقرار بالتأثر بمنحى معين في التفكير حتى لو وصل الأمر إلى درجة الإجتهد المطلق . ومن ثمَّ يصبح الشأن هو ضرورة الوعي بهذه الحقيقة التي لا فكاك عنها ، مع تجنب التعصب الأعمى للموروثات ، والحرص على اتباع ما نهض البرهان على صحته .

وما ذكر عن الأفراد والجماعات يذكر كذلك عن كثير من المعاهد العلمية والجامعات التي أسست ابتداءً للترويج لمنهج خاص تقدمه لطلابها على أنه صورة الحق الوحيدة ، سواء أكانت هذه الرسالة صريحة أم ضمنية . ومن ثمَّ يصبح خريجوها - الذين سيكونون أئمة للمراكز الإسلامية في المستقبل - قد حملوا ابتداء بذور العصبية والتحيز ، بسبب اجتزاء المعلومات ، وتحيز البرنامج التعليمي ، والجهل بكثير من الخلفيات التاريخية - في علوم الشريعة المختلفة - الكائنة كمسببات لهذه الإختلافات ، والتي لا يسعنا إزاء الكثير منها إلا العلم بأسبابها وقبولها .

بداية أن نشير هنا إلى ما تثمره مظاهر ذلك التعصب من إهدار لمقاصد الشريعة في تزكية النفوس واللياذ بمكارم الأخلاق ، فتلقى الإتهامات بين المنتسبين إلى الإسلام بالتضليل والتبديع ، وتنتشر مظاهر الغيبة والتجريح ، بل قد يصل الأمر إلى درجة الكيد والتآمر ، ثم إلى الصراع والإقتال .

وكثيرا ما يتعرض أبنائنا لكثير من المواجهات الفكرية - خاصة طلاب الجامعات - بسبب اتساع دائرة المعارف المتنوعة المصادر ، والمتباينة الإتجاهات التي يتعرضون لها سواء من المؤثرين الإسلاميين ، أو لصلتهم بإخوانهم وأقرانهم ، أو لعلاقاتهم بزملاء الدراسة من غير المسلمين ، أو بسبب ظهور أفضيات جديدة تستوجب رؤية شرعية مستبصرة ، أو نتيجة لما تثيره المنظمات والتجمعات الإسلامية وغير الإسلامية من قضايا شتى ، أو أحيانا شبهاة حول الإسلام نفسه كمنهج وعقيدة .

إن منهج الخطاب الوعظي أو الحديث الإنشائي أو حتى التحليل المنطقي المعتمد على الأدلة والبراهين العقلية لا يصلح لمواجهة مثل هذه التحديات ، وسيُتهم أصحابه بالسطحية والإستخفاف بأصول الدين وثوابت العقائد ، مهما كان خطابهم في ذاته صحيحاً ، وإنما الأمر يستوجب منهجاً شرعياً تأصيلياً يستوعب جوانب القضية ويحيط بأطرافها ، وينفذ إلى جذورها ومسبباتها ، في ضوء دلالات قاطعة من آي الذكر الحكيم ، وثابت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أثر من مناهج ثابتة حظيت بالقبول من علماء الأمة رغم ما يوجد بينها من تباينات تتسع في أحيان وتضيق في أحيان . فيتحقق إدراك التباين القائم - في ضوء المقررات الشرعية - وخصائص المدارس الرئيسة في الفقه الإسلامي - بمعناه الأوسع - وما تفرع عنها من مذاهب ، والإحاطة بمنحى القوة أو الضعف لكل منها ، وإن تفاوتت في هذا الأمر - تقويم منحى القوة والضعف - الإجتهداتُ فإنها ستكون حتماً في دائرة النظر والإجتهد يسبب ما حظيت به من إقرار شرعي .

ومعلوم أنه مما فطر الله تعالى عليه الناس تفاوت النزعات ، وتباين مستويات الفهم والإدراك ، مما يجعل البعض ينجح إلى بعض تلك المدارس أو إلى إحداها دون غيرها ، ولكن ما ينبغي علينا جميعاً إدراكه هو أن هذه المدارس - التي أقرتها أقرت أسسها سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقواعد الشريعة تقع جميعها في دائرة الشرعية ، ومن ثم يتحقق التماس الأعدار للمخالفين ، وتراعى الحقوق الشرعية للإخوة الإيمانية ، ويتحقق الإعتصام بجبل الله تعالى ونتجنب الفرقة والاختلاف . ويجب النظر إلى هذه التباينات على أنها دلائل ثراء في الفكر والإجتهد ، لا على أنها أسباب للتعارض والتنازع ، وإن كان هذا الموقف لا يحول دون تقويم تلك الآراء في ضوء دلالات النصوص ومقاصد الشريعة ، وترجيح الأنسب والأثبت .

لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا أنه مع الإستقصاء الشرعي الصحيح لجوانب هذه القضية سنجد أنه ما يزيد على تسعة أعشار الخلافات العقيدية والمذهبية الكائنة بين المسلمين إنما تقع إما في محيط اللاوجود لها أصلاً - بمعنى أنه لا محل لإثارتها ابتداءً ، كالإعتقاد على أحاديث آحاد للإنتصار لرؤى عقيدية معينة ، أو لأنها لم تثر أصلاً بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليسعنا في أمور العقائد والعبادات ما وسعهم - وإما أنها تقع في محيط التغافر والتسامح الذي يضبطه ذلك القول المأثور " رأبي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب " . ولعل الأعجب من ذلك أن هذا التقرير لا ينحصر حكمه على دائرة الخلاف القائم بين المنتسبين إلى السنة وحدهم ، بل يتعداهم ليشمل معهم في هذه النسبة فرق الشيعة الرئيسة من الزيدية والإمامية كذلك باعتبار أصل المذهبين . وإنني على يقين من أن هذا القول سيستهجن من كثير من أهل السنة والشيعة على حد سواء ، ممن لم يُلموا

تفصيليا بتاريخ التشريع الإسلامي ، ولكن الحكم في هذا هو الدليل والبرهان ، وهذا ما يستهدف هذا المؤتمر بيانه وتحقيقه بإذن الله . ولذا يستهدف المؤتمر تحرير المفاهيم الأساسية المتعلقة بتطور التشريع وظهور المدارس الفقهية من منظور علمي إيجابي ، في إطار من الخلق الشرعي ، يستهدف بيان أسباب الاختلاف تحقيقا للوحدة والإئتلاف ، مع تجنب أي لون من ألوان الإساءة أو التجريح . (هذه المفاهيم سيرد ذكرها في القسم الثاني "المؤتمر : أهداف وغايات" إن شاء الله ) .

لكم يكون الغنم عظيما ، والجهد مثمرا ، إذا رفعت ثمار هذا المؤتمر الفرقة والنزاع بين تسعة أعشار الأمة ، في وقت أصبحت فيه فريضة الوحلة والتأخي من أكد فرائض الوقت - إن لم يكن هكذا شأنها في كل وقت - في زمن يمر فيه الإسلام بظروف دقيقة حرجة ، استعرت فيه الحرب من قبل خصومه ، لدرجة أنهم أصبحوا يصرحون بضرورة إعادة تشكيل العقل المسلم ، وصياغة المناهج الدراسية في المعاهد والمدارس الإسلامية وفق رؤيتهم الخاصة . إن إعادة صياغة المناهج هي قضية حق في ذاتها ، وهي ضرورة شرعية يقدر شأنها وينهض بعينها علماء الإسلام لا خصومه ، حتى تتحقق استقامة الأمة على الصراط المستقيم ، وهذا ما نادى به كثير من النابغين من علماء الإسلام الأجلاء عبر القرون ، ومجددو أمر هذا الدين في كل عصر ، وما جهدنا في هذا المؤتمر إلا امتداد لتلك الجهود المباركة .

**منهجية المؤتمر :** هناك ركيزتان أساسيتان نعتقد أنهما تمثلان مقومات أساسية لتحقيق أهداف المؤتمر ، بعد عون الله وتوفيقه ، وهما :

1. تقديم مادة علمية موثقة في تتابع منهجي ميسر . تغطي هذه المادة مرحلة ظهور المدارس الفقهية وتطورها ابتداءً من عصر الرسالة ، وحتى نهاية القرن الثالث الهجري الذي اتسم بنضوج وتطور القواعد الأصولية في العلوم الشرعية المتنوعة ، والتي تمثلت في ظهور المذاهب الفقهية المعتمدة في تاريخ التشريع الإسلامي ، ثم بيان أثر ذلك على الفكر الإسلامي المعاصر .
  2. كفاءة المحاضرين المشاركين مع مراعاة تنوع خلفياتهم الفكرية والمذهبية ، مراعاة للحيادية والموضوعية ، ولإتاحة الفرصة للتعامل مع ظروف الواقع الحقيقي .
- ضيوف المؤتمر :** قدمت الدعوة إلى كل من الزملاء الفضلاء التالية أسماؤهم (أبجدياً) :

1. الدكتور أحمد سيف - معهد الدراسات العربية والإسلامية
2. الدكتور أحمد نبهان - الجامعة الأمريكية المفتوحة
3. الدكتور أكبر محمد - جامعة كولومبيا
4. الدكتورة إنجريد ماتسون - الإتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية

5. الدكتور أنور ماجد عشقي - جامعة الملك عبد العزيز
6. الدكتور جعفر شيخ إدريس - الجامعة الأمريكية المفتوحة
7. الدكتور جمال بدوي - جامعة سانت ماري - كندا
8. الدكتور جيرالد ديركز
9. الدكتور خالد أبو الفضل - جامعة كاليفورنيا
10. الدكتور خالد بلانكينشيب - جامعة تمبل
11. الدكتور روبرت كرين السفير الأمريكي والمستشار الشخصي للرئيس نيكسون سابقا
12. الدكتور زاهد بخاري - جامعة جورج تاون - ( الحلقة الإسلامية لأمريكا الشمالية )
13. الدكتور سليمان يانج - جامعة هاوارد
14. الدكتور سهيل الغنوشي - الجمعية الأمريكية الإسلامية
15. الدكتور سيد حسين نصر - جامعة جورج واشنطن
16. الدكتور صلاح سلطان - الجامعة الأمريكية الإسلامية المفتوحة
17. الدكتور طارق رمضان - جامعة كمبردج
18. الدكتور طه جابر العلواني - المعهد العالمي للفكر الإسلامي
19. الدكتور عادل محمد صالح أبو العلا - جامعة الملك عبد العزيز
20. الدكتورة عزيزة الحبري - جامعة فيرجينيا
21. الدكتور لؤي صافي - المعهد العالمي للفكر الإسلامي
22. الدكتور ماهر حتوت - المركز الإسلامي لأورنج كاونتي كاليفورنيا
23. الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - المركز الإسلامي - تكساس
24. الشيخ محمد الحانوتي - المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية
25. الدكتور محمود أيوب - جامعة تمبل
26. الدكتور مزمل صديقي - المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية

الدكتور مصطفى عبد الباسط أحمد  
 تخصص : تاريخ التشريع الإسلامي  
[www.fiesite.org](http://www.fiesite.org)